

بسم الله الرحمن الرحيم

المحاضرة الأولى

مدخل إلى مناهج التحليل السردى

تشهد السرود تنوعا وثراء كما سجلت لها خصائص تحكم بنائيتها، مال إليها النقد ومايزال ليوفر لتلك السرود مناهج لمقاربتها وذلك ضمن ما أطلق عليه سمية مناهج التحليل السردى، وقبل التطرق إلى التفصيل في هذه المناهج علينا أولا أن نتطرق إلى تحديد مفهوم المنهج .

من أوضح المفاهيم ما تقدم به عبد الله إبراهيم، حيث يضبط مفهوم المنهج على أنه: "سلسلة العمليات المنظمة التي يهتدي بها الناقد...، للاقترب إلى الأهداف التي تنطوي عليها الفعالية الإبداعية، وتقف وراء الحاجة إلى ضرورة توفر رؤية نقدية، عملية الإحساس الذي ينطوي على مسؤولية، بأهمية تحديد موقف دقيق وعميق إزاء الظواهر الإنسانية المهمة، ومنها: الفعالية الإبداعية، بوصفها واحدة من أخصب تلك الظواهر، وأكثرها قدرة على إثارة احتمالات التفسير والتأويل، في كيفية تكونها، وفي عناصرها الأساسية، في ما تنطوي عليه من دلالة، وما تؤديه من وظائف، وما يتعلق بقضايا التأثير والتأثير"¹ . إن الأمر ينطلق من التنظير حيث الفاعلية الكبرى للنقد الذي يعمل على تشكيل رؤية نقدية، غير أن هذه الأخيرة تنكئ في حقيقة التنظير على جهاز معرفي متكامل ما بين المفاهيم، والمقولات، والمصطلحات، والآليات الإجرائية، ومن هنا تسجل المناهج النقدية انطلاقتها عندما تتوجه صوب النصوص السردية لمقاربتها، ولن يتحقق لها ذلك إلا بتحيين ذلك الجهاز المفاهيمي والمصطلحي والإجرائي الذي تقدم به النقد. ومن هنا يمكننا الكشف عن العلاقة التلازمية والمتوسطة بين النقد والمنهج لأن الثاني استثمار عملياتي للجهاز المفاهيمي النقدي وعدة آلياته الإجرائية، ومصطلحاته المخصوصة برؤية من الرؤى التي انطلق منها النقد لمقاربة النصوص السردية.

ومن أبرز الحقائق التي نتطرق إليها ونحن نتحدث عن مناهج التحليل السردية أنها تتميز بالتشعب والتنوع والاختلاف، تبعاً لاختلاف الرؤى النقدية التي انبثقت من عباؤها، لتكون النتيجة هي تعدد مناهج مقارنة النصوص السردية، وهو ما سنفصل فيه لاحقاً من خلال محاضرات تحليل النص السردية. وفي زاوية أخرى من الحقيقة، فإننا نقر بأن مناهج مقارنة النصوص السردية مرجعيتها غربية، فقد نبتت عند الآخر ثم وفدت على محاضن التربة العربية عن طريق عملية الترجمة، وبهذا بات معنا الحديث عن مرجعيتها الغربية فضلاً عن ثرائها وتنوعها.

إن الحديث عن مناهج مقارنة النصوص السردية يجرنا إلى مكاشفة أهميتها بحسب ما تطرقت إليه الدراسات النقدية الغربية والعربية، ففي زاوية من الطرح يتم الاهتمام بهذه المناهج لأنها الطريقة التي تتم بها "معرفة آلية تشكل الإبداع ورصد آلياته، ومن ثم الإمساك بجوانب الدلالة فيه"²، فالنص السردية يبنى على طرائق مخصوصة كما يحوي دلالة وبهذا يتم الكشف عنهما من خلال المناهج النقدية. وهناك أهمية أخرى للمناهج النقدية التي تشغل على مقارنة النصوص السردية حيث "لا يتعلق الأمر بترف فكري، ولا بانسحاق مع ما تذروه رياح العوالم الأخرى، إن مثل هذا ليرجم في الواقع حاجة ماسة إلى تعميق المعرفة والوعي بالنظريات وبالمناهج التي تمكن من التقدم في القراءة النقدية للنصوص، ومن المساهمة في حل مشاكل التأويل وتصحيح القراءات التي تفتقد إلى الوجهة أو إلى المصادقية، مثلما يترجم استجابة واعية لما تفرضه تحولات المجتمع والثقافة من تغير في القيم وفي المنظورات وفي التصورات، وفي أسس بنائها وتحليلها وفهمها"³، فالانشغال بالمنهج ليس ترفاً وإنما العودة إلى مباحث المناهج النقدية على مستوى المقارنة السردية يسمح لنا بتوفير القراءة ذات الطريقة الصحيحة، إذ ليس بمقدور الجميع القراءة إن لم يتم التسلح بالمنهج بما هو عدة من الآليات الإجرائية والمصطلحية والمفاهيمية، فبها يتوصل إلى مقارنة النصوص السردية سواء تعلق الأمر من جهة البنى، أو الدلالة. وآخر فائدة تخص مناهج مقارنة النصوص السردية أنها تساهم "في إغناء الحوار الثقافي بصدد تطوير أساليب القراءة والتحليل في اتجاه إدراك أعمق للظاهرة الأدبية في مختلف أبعادها ومستوياتها، وبصدد قضايا التحديث الإبداعي والنقدي عموماً"⁴، فلا بد من مراعاة مقتضيات التطور الحاصل في المجتمعات والحياة وما استتبع ذلك من تطور في النصوص السردية شكلاً، وتقنية، ومعنى، فوجب على النقد تجديد

مقولاته وآلياته ومفاهيمه ببدائل تجديدية تراعي ذلك التطور السالف الذكر لمقاربة النصوص السردية في ظل عدم كفاية المناهج القديمة.

يمكننا الحديث عن مناهج التحليل السردية من منظور أفقي مع الإشارة إلى حالة الثراء التي بدت عليها، وأول ما يمكننا البدء به هو جهود فلاديمير بروب وقد انحصرت في النماذج الأقل تعقيدا والمقصود بها الحكايات العجيبة وقد وفر لها بروب آلية الوظائف، في حين هناك معطيات الشكلايين الروس والتي نذكر منها جهود توماتشفسكي وهو يقدم بدائل الحافز والتحفيز لمقاربة النماذج الحكائية الأكثر تعقيدا والمقصود بها القصة والرواية ليشهد الأمر فيما بعد توسعة على مستوى نشاط الحركة النقدية وما استتبعه من توفير للمناهج النقدية وما استحدثته من آليات لمقاربة النص السردية تحديدا القصة وذلك على يد البنويين أو ما يطلق عليهم برواد مدرسة النقد الجديد بفرنسا بعد أن استفادوا من مباحث الدرس اللساني في توفير وإضافة المزيد من آليات مقاربة النصوص السردية. تركزت مجموع الجهود البنوية حول النص - و ذلك في جزء من الطرح - فباتت القاعدة لا شيء يوجد خارج النص ، النص بنية مكثفية بذاتها ، و هذا الطرح هو ما جعل بدائل النقد التجديدية توسم بالنسق المغلق système clos ، أطرته طروح البنوية structuralisme ، سواء تعلق الأمر مع بنوية جيرار جنيت Gérard Genette ، و من مشمولات جهوده، البنية الزمنية في الخطاب الروائي مع مدونة جيرار ، خطاب الحكاية ثم عودة إلى خطاب الحكاية⁵ من خلال مقاربة رواية مارسيل بروسست بحثا عن الزمن الضائع ، أو كما ترجمت ، دون إغفال جهود بارت Roland Barthes البنوية⁶ ويمكننا في هذا المقام ذكر آلياته المتعلقة بالتحليل البنوي للحكاية، وتودوروف ... وغيرها من الطروح البنوية ، حيث الجامع بينها جميعا قائم على مقولات المعنى تحصيل حاصل ، و الأساس هو بنى النص (بنية الشخصية / بنية الزمن / بنية المكان / الحوافز / الوظائف ...) ، إن تلك البنى مكثفية بذاتها ، لا تحتاج إلى ما هو خارج النص ، تقيم عناصر كل بنية علاقاتها فيما بينها وتتحكم فيها داخل تلك البنية الكلية .

ثم تأتي تقديمات النقد ما بعد البنوي وما وفره من مناهج لمقاربة النص السردية ، والأساس أن هناك أشياء تستحق الاهتمام في النص ، و لكن بشرط انبثاق المقاربة من

عباءة النسق المفتوح système ouvert ، الذي تأطر ضمن المقولات النقدية لما بعد البنوية post-structuralisme . من أبرز الآليات الإجرائية لطروح ما بعد البنوية ، آلية القراءة Lecture ، التأويل interprétation ، تعددية المعنى polysémie ، البناء على سيرورة الاشتغال الدلالي من خلال ما أطلق عليه سمية السيميوز sémiologie ، و المنطلق فيه لساني محض ، حيث كل دال يفضي إلى مدلول ، ليتحوला بدورها إلى دال آخر و لكن ضمن حركة لا نهائية ، ليجتاج ذلك الدال الآخر إلى مدلول ، و هكذا العملية إلى ما لا نهاية . لقد ثبت هذا مع الطرح السيميائي ، و منه نشير إلى طروح بارت ، ضمن نظرية الشفرات ، التي أصلها في كتابه S/Z⁷ . في زاوية أخرى من الاجتهاد النقدي ما بعد البنوي ، ارتقى بالطرح الفيلسوف و الناقد الفرنسي جاك دريدا Jacques Derrida ، و لكن من زاوية التفكيكية⁸ Déconstruction ، المعولة على آليات بنية الإبدال Supplémentarité ، الأثر Le Trace ، الانتثار dissémination الذي يبقى مرتبها بالتأجيل و الإرجاء ، كما نتسمع بأخبار Style Ni Ni ، كل ذلك في مسعى لتفكيك ما يسميه دريدا بالوحدة غير قبالة للتحديد Indécidable . ومع هذه الآليات الإجرائية المتكثرة يمكننا استزادة النقد ما بعد الحدائي ونقصد بذلك النسق الثقافي ومقارنته للأنساق المضمره في السرود المعاصرة ..، وبهذا يمكننا القول بأن آليات تحليل النص السردى شهدت تنوعا واثراء لمقاربة المتخيل السردى.

ولنتعرف على أهم مناهج مقارنة النصوص السردية، سنعمل على التطرق لأهم تلك المناهج في مضانها الأصلية وذلك من خلال محاولتنا تسليط الضوء على أبرز مفاهيمها، وآلياتها، ومصطلحاتها النقدية التي عولت عليها، لننتقل بعد هذا إلى الجانب التطبيقي من محاضرات هذا المقياس، حيث سنتطرق إلى أبرز المقاربات للنصوص السردية العربية المعاصرة حسب ما يشترطه هذا المقياس، وعليه،

-ما هي أهم المناهج الغربية المقاربة للنصوص السردية؟

-ما هي أهم آليات المقاربة السردية؟

-وأخيرا، ما هي أهم التطبيقات العربية المستثمرة في المناهج الغربية لمقاربة النصوص
السردية العربية المعاصرة؟